ثقافة

الثقافة في زمن الأزمات والحروب
كفاحٌ للبقاء وحنينٌ إلى "بيروت الماضي"

تحديات لا تحصى تواجه الثقافة في لبنان. فسلم الاولويات يتصدره اعادة الاعمار وازالة اثار العدوان الاسرائيلي ومعالجة الازمة الاقتصادية، مما ادى الى تهميش القطاع الثقافي والى قلق متزايد لدى العاملين فيه، ليبقى الحنين الدائم الى بيروت والمتجسد في كل ذكرى تكتب او تحكى عن ذلك الزمن الذي كان فيه للكلمة رونقها

تميز لبنان في القرن 19 والنصف الاول من القرن 20 بنهضة ادبية وثقافية واسعة، حيث ظهر مئات من الادباء والشعراء والعلماء والفلاسفة والمفكرين، الا ان الحروب والازمات المتتالية افقدت بيروت وهجها الثقافي رغم المحاولات العديدة لاستعادة دورها، خصوصا انها تبقى صاحبة الباع الطويلة والقادرة على احتضان الثقافات المتعددة.

فاقم الانهيار الاقتصادي الامر في وقت يقدر البعض في ظل غياب احصاءات دقيقة، لأن اكثر من نصف العاملين في المجال الثقافي قد غادروا البلاد بالفعل، بسبب الضغط الاقتصادي المتزايد، وهو ما يمكن ملاحظته بسهولة عند تعداد اسماء الفنانين الذين لم يعودوا على الساحة، او الكتاب الذين التحقوا ببلدان اغتراب ابنائهم، او السينمائيين الذين باتوا يفضلون العمل من الخارج. "الامن العام" حاورت كلا من امين الاعلام في الحركة الثقافية - انطلياس الدكتور عصام خليفة ونقيب الممثلين في لبنان نعمة بدوي.

خليفة: لوضع استراتيجيا تعزز الثقافة

■ لماذا تراجعت الثقافة في لبنان بشكل كبير؟

□ تعرض لبنان منذ الستينات لتدخلات خارجية اقليمية ودولية استهدفت امنه واقتصاده وتربيته وثقافته واعلامه. كان المجتمع اللبناني مزدهرا نسبيا في الخمسينات من خلال مطابعه واعلامه ومدارسه وجامعاته وتعدد اللغات فيه. هذه العوامل دعمت انتشار لبنان في العالم العربي. نعود الى القرن السابع عشر حيث كان التعليم الزاميا ومجانيا في المجمع الماروني، وفي القرن التاسع عشر تواجدت جامعتان في لبنان. في حرب الـ 75 وحيث بدأ العنف وقمع الحريات وتدمير المؤسسات والمدارس وحرق المكتبات والجامعات، بدأنا نشهد على التراجع. لم تعد الحرية كما كانت سابقا، وتراجع المستوى التعليمي. عندما كنا تلامذة، كنا ننكب على القراءة والمطالعة، وهذا لا يحصل اليوم بسبب وسائل الاعلام والتعليم. للتكنولوجيا سيئاتها وحسناتها، اذ ابتعد الناس اليوم عن الكتاب والمطالعة. لقد شهدنا على تراجع في الثقافة والشهادات، اضافة الى التدخل السياسي في تعيين المعلمين، فانهار المستوى التربوي، اذ ان الاستاذ يجب ان يكون خريج جامعة ويخضع لامتحانات دخول عبر مجلس الخدمة المدنية حتى يتم تعيينه. كانت السوق العربية مزدهرة ببيع الكتب، ثم تراجعت. كان لبنان يصدر 20 مليون كتاب، الا ان الوضع الاقتصادي اثر على كل جوانب الثقافة، المطابع والاعلام والأجور، اضافة الى الفساد الذي ساهم ايضا في تراجع الثقافة. اهملت الدولة الجامعة اللبنانية، فتراجع المستوى بدل ان يدخلوا اساتذة وفق معايير اكاديمية كإدمون نعيم وحسن مشرفية، فاصبحت الواسطة السياسية هي التي تحكم. يضاف الى ذلك، ضعف المكتبات وعدم التشجيع على ارتيادها. كما ان الاعلام المرئي والمسموع والمكتوب لا يولي اهمية للثقافة، فهل من تلفزيون انتج برنامجا ثقافيا، اين الصفحات الثقافية في الصحف؟

امين الاعلام في الحركة الثقافية ـ انطلياس الدكتور عصام خليفة.

■ كيف تصف اليوم الوضع الثقافي مع تراجع النشاطات الثقافية؟

□ هناك عوامل عديدة ادت الى التراجع الثقافي اليوم. بداية من الازمة المالية وتراجع القوة الشرائية للطبقة الوسطى وانهيارها بعدما كانت هي الطبقة الاكبر في لبنان. تراجع مستوى المؤلفات والمؤلفين في اغلب الاختصاصات، وزادت تكاليف طباعة الكتب الورقية في وقت لا تشجع الدولة المكتبات العامة. سأعطيك مثالا: اتصل بي المطران غريغوار حداد عام 1987 وعرض عليّ اخذ المكتبة الموجودة في واحة الرجاء قرب المتحف في بيروت بسبب تعرضها للقصف. فاتصلت بالاستاذ كسرى باسيل رئيس بلدية البترون في ذلك الوقت، وعرضت عليه نقل المكتبة الى البترون لتكون نواة لمكتبة عامة في المدينة، فوافق على هذا الاقتراح فورا. وهكذا تم نقل الكتب الى بلدية البترون التي قامت اثر ذلك، باستحداث المركز الثقافي البلدي واخذت هذه المكتبة بالتوسع الى ان وصل عدد كتبها الى ما يزيد عن 30 الف مجلد وكتاب. الا انه ويا للأسف، رمى رئيس البلدية الحالي مارسيلينو الحرك الكتب في السوق على اعتبار انها غير ضرورية، ◄

المقال

الثقافة والوجه الاقتصادي الناعم

كانت بيروت منارة العالم العربي وفضاء حرياته وابداعه ومختبر ثقافاته، جذبت اليها المفكرين والروائيين والشعراء والمسرحيين والفنانين التشكيليين وكتابا وصحافيين عربا.

لكن بيروت لم تعد كما كانت، ومثقفوها يعيشون الخيبة بعد ان تغير وجهها.

مَن يقول ان الاولويات في لبنان اليوم معالجة الازمة الاقتصادية والمالية، والثقافة ليست من هذه الاولويات، فهو مخطئ والتجارب العالمية دليل على عدم متابعته لتطور مفهوم صناعة الثقافة في العالم.

لقد اصبحت الثقافة الحديثة احد اهم مداميك الاقتصاد العالمي، ومن اكثر المنتجات والسلع التي تفاخر بها الدول والشعوب. القطاع الثقافي بكل ادواته وآلياته يساهم في تنوع وتعدد مصادر الدخل، لتتحول الثقافة من قطاع ينتظر الدعم والتمويل لينفذ مشاريعه وبرامجه الثقافية، الى قطاع وجهه ناعم بملامح ثقافية وابداعية، لكنه يدار بشكل احترافي ومهني.

مَن يتابع النشاطات والانجازات الثقافية في بعض المدن العربية، يلاحظ تقدما لافتا يجعل من هذه العواصم العربية في صدارة المشهد الثقافي العالمي وفي الوقت نفسه جذبت اليها الاستثمارت والسياح.

في العالم، استفادت العديد من الدول من استراتيجيات ثقافية ناجحة، مما ساهم في تعزيز اقتصادها بشكل ملحوظ. في الولايات المتحدة الاميركية، تظهر الدراسات ان الفنون والثقافة تساهم بشكل كبير في الاقتصاد الاميركي، حيث اضافت اكثر من تريليون دولار للناتج المحلي الاجمالي في العام 2021، وهو ما يعادل 4.4% من حجم الاقتصاد الاميركي. كما خلقت ملايين فرص العمل وحققت فائضا تجاريا. في اسبانيا، يمثل القطاع الثقافي 5.2% من الناتج المحلي الاجمالي، ويوفر اكثر من 700 الف وظيفة، كما ان السياحة الثقافية تجذب ملايين الزوار سنويا.

في السعودية، على الرغم من الاهتمام الحديث بالقطاع الثقافي، فقد ساهم في دعم النمو الاقتصادي بحوالى مليار دولار، او 1.49% من الناتج المحلي الاجمالي غير النفطي في العام 2023، مع هدف الوصول الى 3% في حلول العام 2030.

في لبنان اجرى "معهد باسل فليحان" في العام 2021 اظهرت دراسة ان ما يقارب 5% من الناتج المحلي اللبناني يأتي من الصناعات الثقافية والابداعية. تشكل هذه النسبة نسبة وازنة تصل الى نحو ملياري دولار سنويا، كما توظف هذه القطاعات نحو 200 الف شخص. هذا يعني ان الانتاج الفني والثقافي قادر على تحفيز الاقتصاد من خلال جذب السياح، ودعم الصناعات الابداعية، وخلق فرص عمل جديدة.

دراسة يمكن الانطلاق منها لوضع استراتيجيا ثقافية مستدامة تجمع بين دعم الانتاج الفني محليا، وتسويقه عربيا ودوليا، وربط الثقافة بقطاعي السياحة والاقتصاد. فما الذي يمنع لبنان من تجاوز دول عربية وغربية اذا اقدم على بناء هذه الاستراتيجيا. اذ لطالما كانت بيروت صاحبة الباع الطويلة والقادرة على احتضان الثقافات المتعددة، تلك التي قال فيها الشاعر نزار قباني ان "الدنيا بعدك ليست تكفينا".

ميرنا الشدياق

◄ وحل مكانها الكومبيوتر. هنا اسأل هل الغيت في باريس المكتبة الوطنية؟ هناك تكامل اذ ان المكتبة تبقى ونستعمل التكنولوجيا. رفعت دعوى على الحرك امام القضاء واستحصلت على حكم واستطعنا ان نعيد 7 الاف كتاب تم وضعها في دار المعلمين في البترون، اذ انه رفض تنفيذ حكم القضاء بإعادة الكتب الى المكتبة. اضيف هنا الى عدم اهتمام البلديات بالتراث والارشيف. يجب ان يكون هناك احترام للوثائق وتجميعها، وان تنشئ الدولة مركزا للارشيف تجمع فيه ارشيف الدولة داخل لبنان، والاتيان بالارشيف من الخارج، وتأمين قاعدة بحث للباحثين. ان الثقافة هي اساس الانماء ولا يمكن اعتبارها ترفا، ولا يمكن تنمية اي مجتمع من دون توفير وسائل المعرفة.

نملك ارث الحرية وهو الاساس للتقدم الثقافي

■ بماذا تنصح الجيل الجديد حتى يعود لبنان بلد الثقافة؟

□ نملك ارث الحرية وهو الاساس للتقدم الثقافي. اتمنى اصلاحا تربويا يعيد للمدرسة زخمها ومردودها المعرفي، كذلك للجامعة بالمعنى الشامل والجامعة اللبنانية بشكل خاص. جودة التعليم تتطلب ايجاد اساتذة اكفاء وادوات بحث وعلم في الجامعات وانشاء مراكز ابحاث ومكتبات، وضرورة وضع الدولة استراتيجيا لتعزيز الثقافة. اضافة الى وجوب الاهتمام بالمكتبات العامة في المناطق، وتعزيز المكتبات في المدارس والبلديات. هناك ظلم يتعرض له الكثير من المؤلفين والادباء والعلماء والفنانين الذين يعانون من ازمات اجتماعية، اذ لا تشملهم اي تغطية صحية. من الاقتراحات خفض الضرائب على الورق لطبع الكتب بسعر مقبول وتصديره الى العالم العربي، فلماذا لا يتم انشاء فروع للطباعة في الجامعات لتخريج طلاب تقنيين في هذا المجال؟ لماذا لا يتم اعداد برامج دورية ثقافية تعرض على الشاشات التلفزيونية وفي الصحف والاذاعات من اجل بناء مجتمع المعرفة؟

بدوي: لخلق مجتمع واع مثقف ومتذوق

■ لماذا تراجعت الثقافة في لبنان؟ ومنذ متى؟

□ تراجعت الثقافة في لبنان منذ بداية الحروب العبثية فيه من اهلية الى حروب متفرقة وحروب مذهبية وطائفية. كل العالم "بلّوا" ايديهم بلبنان ونحن ارض خصبة فهناك دائما مَن يستقبل الاملاءات. بدأت الثقافة تتراجع لتبدا ثقافة جديدة بعد الثورة الالكترونية والمعلوماتية، وتشكل اليوم مواقع التواصل الاجتماعي اولوية. اثرت الحرب الاهلية على جيل بعدم الانضباط وعدم المراقبة الجدية من الاهل، فاصبحنا نسمع الاغنية والموسيقى الهابطة. انقرضت الجريدة الورقية امام الجريدة الالكترونية وبات الخليوي اهم من الكتاب. هذا المشهد ليس فقط في لبنان بل في المنطقة كلها. الشائع اليوم هو ثقافة الانحطاط تحت شعار واحد حرية ابداء الرأي. اين القيم والاخلاقيات حتى وصلنا الى التدخل في تكوين البشر؟ لقد خلق الكون ذكرا وانثى.

■ ما اسباب تراجع النشاطات الثقافية خلال السنوات الماضية؟

□ لأنه بات من السهل الوصول الى المعلومة بكبسة زر. لا نرى اليوم اي اجتماعات وندوات ثقافية. كان معرض الكتاب ينظم مرة في السنة، وهو من اوائل معارض الكتب في العالم العربي حيث كانت تتوافد الناس اليه بشكل كبير، اما اليوم فهو شبه فارغ. لا احد ضد التطور التقني، لكن ان يتم استخدامه بطريقة صحيحة ولأهداف سليمة.

■ تراجعت الدراما اللبنانية لصالح مَن ولماذا؟

□ نحن مسؤولون كجسم فني وثقافي بشكل ما عن هذا الانحطاط لأننا كنا نهرب الى السهولة، واهملنا الدراما في مرحلة لصالح الدوبلاج. الدراما اللبنانية كانت في المقدمة في العالم العربي. كنا ننافس حتى مصر، فتلفزيون لبنان كان اول تلفزيون في العالم العربي. كنا نملك كل الكادر من كتّاب ونجوم وممثلين الى مخرجين اضافة الى النصوص، لكننا تراجعنا مع لجوئنا الى الدوبلاج. للاسف كنا كمن يلحس المبرد. في هذه الفترة تقدمت الدراما المصرية وشهدت الدراما السورية ثورة مع تخطيها كلاسيكيات التصوير وخروجها من الاستديو والتداول بنصوص لكتاب معروفين. شهدت الدراما اللبنانية نقلة نوعية عندما تحدثنا عن مجتمعنا على حقيقته، فكانت النقلة النوعية عبر تلفزيون لبنان عند عرضه لمسلسل "العاصفة تهب مرتين" الذي تميز بالجرأة في الطرح والتصوير خارج الاستديو، وفي الوقت نفسه تم انقاذ تلفزيون لبنان من الافلاس. هذا ما كنا دائما نطالب به وزراء الاعلام، ونجدد طلبنا اليوم مع وزير الاعلام بول مرقص باحياء الدراما.

■ لماذا الاتكال اليوم على الدراما المشتركة التي يتم تسويقها اكثر في الخارج؟

□ انا مع الدراما المشتركة لأنها تعطي انتشارا اوسع للممثل اللبناني من دون ان يتم الانتقاص من قيمته. فهو على مستوى الجودة والتقنية والاداء والحضور نجم والدليل على ذلك ابداع اللبنانيين وحضورهم المميز في الدراما المشتركة. الا انهم يعتبرون دائما ان اللبناني الارخص سعرا لماذا؟ لا يقل لي احد ان اللبناني لا يبيع في شباك التذاكر، اعطي له الفرصة ثم قرر اذا كان يبيع في شباك التذاكر ام لا؟ نحن نملك كل الامكانات والكتاب والمخرجين وما ينقصنا المنتجين الفعليين، لذلك قمنا بحركة لاعادة احياء الدراما اللبنانية. لقد تحركنا كنقابة مع مجموعة من الزملاء لانتاج دراما لبنانية صرف بنصها وممثليها وتقنييها، الا ان الحرب اجلت هذا التوقيع مع احدى المحطات التلفزيونية في لبنان. لسنا ضد الدراما المشتركة ولا ضد الدراما في العالم العربي، لكن لنأخذ دورنا خصوصا ان اليوم هناك محطات شاهد ونتفليكس، وبالتالي المجال اوسع للتسويق. لو ان المحطات التلفزيونية وشركات الانتاج تطبق القانون بحذافيره، لن يكون هناك اي ممثل عاطل عن العمل، وستكون لنا دراما لبنانية مئة في المئة شرط ان تكون النصوص ذات قيمة وتمثل مجتمعنا حقيقة. لا ينبغي اعطاء نمط واحد في المجتمع اللبناني يعكس الخيانة وتجار المخدرات. ان مجتمعنا فيه ايضا المرأة المقاومة المحامية والطبيبة وربة المنزل العاملة وهناك ايضا الرجل المكافح والمهندس والمخترع. نملك الطاقات والمواضيع التي تغني كل النصوص اذا استوحينا من واقعنا. ليفسحوا المجال لنا لكي نقول قصصنا بحقيقتها وواقعها.

الشائع اليوم هو ثقافة الانحطاط تحت شعار واحد حرية ابداء الرأي

■ هناك مقولة "الجمهور عايز كده"، هل تغير الذوق لدى الجمهور اللبناني؟

□ مسؤولية الفنان هي برفع الذائقة الفنية عند الناس. فاذا سمع الناس كل يوم اغنية هابطة في الإذاعة، هذا كفيل بتشويه الاذن الموسيقية والاعتياد على الغلط. لكل جيل موسيقاه وثقافته، لكن يجب ان يكون هناك مرتكز لأن ما بني على باطل فهو باطل وما بني على حق فهو حق. لذلك نقول ان الدراما الى تراجع. انا لا اقول بالتوجيه، بل باعطاء القيمة الفنية التقنية لخلق مجتمع واع ومثقف ومتذوق.

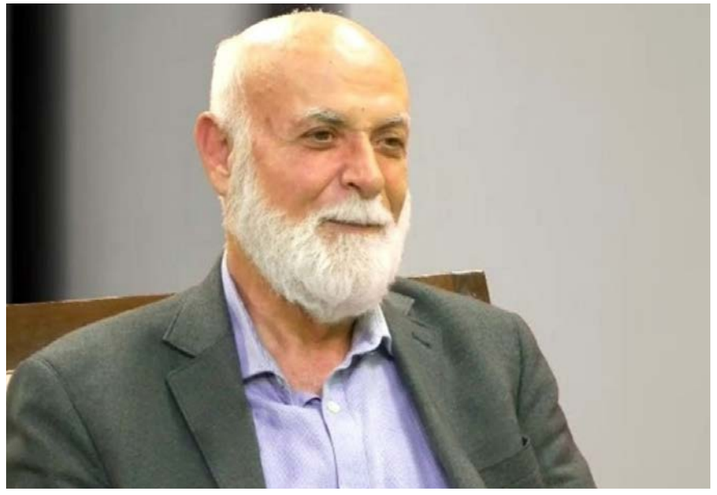

نقيب الممثلين في لبنان نعمة بدوي.

■ المسرح اليوم شبه غائب؟

□ الوضعان الامني والاقتصادي ينعكسان على المسرح، وقد مررنا بازمات اقتصادية وصحية وحروب. اشد على يد كل شخص يرفض الاستسلام ويعمل في المسرح حتى اثناء الحرب. المسرح هو الركيزة الاساسية، هو ابو فنون العرض.

■ هل من خطوات ستقومون بها في موضوع الدراما واعلاء الثقافة في لبنان؟

□ بدأنا بالدراما، اول باكورة انتاج محلي صرف لبناني سيبصر النور خلال اسابيع، ونحن دائما نساهم ونشجع لاقامة الندوات الثقافية. تنظم النقابة ورش عمل لكتابة السيناريو ولاعداد الممثل. هناك مسؤولية الدولة لإعلاء شأن الثقافة، فميزانية وزارة الثقافة شبه معدومة. اذ لا امكانات لديها اذا لم تصبح وزارة الثقافة وزارة سيادية. المثقفون والفنانون هم الوجه الحضاري لكل الشعوب والمقياس الحضاري للشعوب. ثروتنا النفطية ثقافتنا، وبترول لبنان هم مثقفوه وفنانوه.

م. ش